


# والله لولا يوم القيامة

## كتاب في الأدب الإيماني التأملي

**محمد صديق الإدريسي الحسني**

## بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب صدقة جارية

أُبيح نشره ومشاركته وطباعته ابتغاء الأجر

نسأل الله أن يجعل فيه نورًا لكل قلبٍ أثقلته الدنيا

وطمأنينة لكل روحٍ تبحث عن الله

# إهداء

إلى كل قلبٍ أتعبه الركض في الدنيا

إلى الذين أخفتهم الحياة خلف ابتساماتٍ طويلة

إلى الأرواح التي ما زالت تبحث عن الطمأنينة وسط الضجيج

إلى كل من عرف أن الدنيا مهما اتسعت....

فإن القلب لا يهدأ إلا بالله

والله لولا يوم القيامة

مقدمة

الحمد لله الذي جعل للقلوب أبوابًا لا تُفتح إلا بالخوف منه، وجعل للروح حياة لا تُستعاد إلا بالقرب منه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامي الحبيب العظيم القدر العلي الجاه الذي علّم البشرية أن أعظم النجاة ليست في القوة ولا في المال، بل في قلبٍ يعرف طريقه إلى الله

أما بعد ...هناك لحظاتٌ في حياة الإنسان ,يصمت فيها كل شيء يهدأ ضجيج العالم قليلًا، وتبقى الروح وحدها تواجه حقيقتها

في تلك اللحظات، لا يعود المال مهمًا .ولا المكانة .ولا عدد الذين أحبونا يبقى سؤالٌ واحد فقط

ماذا أعددنا لذلك اليوم؟

اليوم الذي تنكشف فيه القلوب كما هي .دون أقنعة .دون أعذار .دون قدرةٍ على الهروب يوم القيامة

ولولا ذلك اليوم لأكل القوي الضعيف بلا خوف .ولما بكى مذنب في آخر الليل .ولما ارتجف قلبٌ من ظلمٍ صغير

لكن الله جعل للكون موعدًا أخيرًا .موعدًا تعود فيه الحقوق .ويُكشف فيه المستور .ويعرف كل إنسان حقيقة نفسه

هذا الكتاب ليس سردًا للقصص فقط بل محاولة للإنصات

الإنصات إلى الخوف الذي كان يسكن قلوب الأنبياء .إلى الدموع التي خبأها الصالحون بعيدًا عن الناس .إلى ذلك اليقين العجيب الذي جعل رجالًا عظماء يرتجفون من آية سنمرّ في هذه الصفحات على أرواحٍ عاشت لله

على عمر الفاروق، الذي كانت الدنيا كلها تهابه ...بينما كان هو يخاف من سؤال الله عن دابه تعثرت في طريق بعيد وعلى إبراهيم، حين وقف وحده أمام أمة كاملة

وعلى يوسف، وهو يتعلّم أن الله قد يبني الإنسان داخل السجون

وعلى موسى، حين بدا البحر مغلقًا بينما كانت النجاة أقرب مما يتصور البشر

وعلى يونس، الذي تعلّم في قلب الظلمات أن أقرب الطرق إلى الله ...الاعتراف هذا الكتاب ليس عن الماضي بل عنك

عن قلبك المتعب .عن خوفك الذي تخفيه .عن ذنوبك التي تؤلمك في الليل .عن تلك اللحظة التي تشعر فيها أن العالم كله واسع ...إلا صدرك

فإن وجدت في هذه الكلمات شيئًا يشبهك ...فاعلم أن الله ما زال ينادي قلبك

## الباب الأول

حين يخاف الأقوياء

## الفصل الأول

الرجل الذي كان يخاف الله أكثر من السيف

كان عمر بن الخطاب إذا سار في طريقٍ هابه الناس ليس لأنه ظالم بل لأن العدل حين يكون حقيقيًا

يصبح مهيبًا .

كان طويل القامة، قوي الحضور، شديد النظرة حتى إن الرجال كانوا يغيّرون نبرات أصواتهم إذا وقف بينهم

لكن الذين اقتربوا من قلبه عرفوا سرًا آخر

عرفوا أن هذا الرجل الذي هزّ الأرض بعدله كان يحمل داخله خوفًا عظيمًا خوفًا لا يراه الناس

في الليل، حين تنطفئ الأصوات، كان عمر يصبح إنسانًا آخر

تضعف صلابة الحاكم ويظهر قلب الرجل الذي يعرف أن الدنيا مؤقتة

كان يسمع القرآن ...فيبكي تمرّ عليه آيةٌ عن النار ...فيمرض أيامًا

ويقرأ عن القيامة ...فيشعر أن الأرض تضيق تحت قدميه

لأن الآخرة عندهم لم تكن فكرة بعيدة

كانت حقيقة حيّة

كانوا يعيشون وهم يشعرون أن الله يراهم في الكلام وفي الصمت

وفي النوايا التي لا يسمعها أحد ..

وذات ليلة، خرج عمر يتفقد المدينة

لم يكن يرسل رجالًا ليسمعوا أخبار الفقراء

وكأن قلبه لم يكن يحتمل أن ينام مرتاحًا بينما يوجد إنسان جائع

كانت المدينة هادئة والبرد يملأ الأزقة

ثم لمح نارًا صغيرة في طرف الطريق

اقترب ببطء

امرأة تجلس قرب قدرٍ فوق النار وحولها أطفال يبكون

بكاء الأطفال في الليل له وجعٌ مختلف

كأنه يوقظ كل شيء نائم داخل الإنسان

سألها عمر :ما بالهم؟

قالت وهي لا تعرف من يقف أمامها الجوع

نظر إلى القدر

لم يكن فيه طعام

فقط ماء

كانت تخدع صغارها حتى يظنوا أن الطعام قادم ...ثم يناموا من التعب

ثم قالت جملة بقيت تضرب قلب عمر طويلًا

الله بيننا وبين عمر

في تلك اللحظة، شعر أمير المؤمنين أن الدنيا كلها أصبحت أصغر من دمعة طفل

عاد مسرعًا إلى بيت المال .وحمل الدقيق على ظهره بنفسه

وحين حاول خادمه مساعدته، قال عمر بصوتٍ يعرف ثقل الآخرة

أتحمل عني ذنوبي يوم القيامة؟

يا الله

كم شخصًا اليوم يخاف على صورته أمام الناس ...ولا يخاف من صورته أمام الله؟

كم إنسان يؤذي، ثم ينام بسهولة؟

لكن القلوب التي تعرف الآخرة جيدًا ...لا ترتاح بسهولة

كان عمر يعلم أن السلطة ليست تشريفًا

بل امتحان وتكليف من الله

وأن أخطر ما قد يخسره الإنسان ...ليس المال ولا المنصب

بل نفسه

ولذلك، كلما اتسعت الدنيا بين يديه ...ازداد خوفه

وفي آخر عمره، بعدما فُتحت البلاد، ودخلت الكنوز، وصار أقوى رجلٍ في زمانه ...كان يقول

. يا ليتني كنت تبنة

لأنه رأى الحقيقة التي ينساها البشر دائمًا

أن الدنيا كلها ...ستمضي

ويبقى اللقاء الأخير

ولهذا ...والله لولا يوم القيامة، لفسدت الأرض بمن عليها

## الفصل الثاني

لو تعثرت دابه

ليست العظمة أن يحكم الإنسان بلادًا واسعة

بل أن يبقى قلبه يقظًا ...رغم اتساع الدنيا بين يديه

فالسلطة تُفسد كثيرًا من البشر تجعل الإنسان يعتاد الطاعة

ويحب صوته أكثر .ويظن مع الأيام أن الناس خُلقوا ليخدموه .

لكن عمر بن الخطاب كان يسير عكس هذا الطريق

كلما كبرت الدولة ازداد خوفه

وكلما ازدادت هيبته عند الناس ...شعر بصغر نفسه أمام الله

وكان أكثر ما يرعبه ...فكرة السؤال

ليس سؤال الناس ,بل سؤال الله

كان يعلم أن هناك يومًا ستتكلم فيه الأشياء الصغيرة

الأشياء التي ننساها نحن بسهولة ,دمعة طفل ,وجوع فقير ,وكلمة ظلم

وإنسان عاد إلى بيته مكسور القلب بسببنا

ولذلك قال كلمته التي بقيت حيّة عبر القرون

«لو تعثرت دابه في العراق، لسألني الله عنها :لِمَ لمْ تُمهد لها الطريق يا عمر؟»

تأمل هذا الخوف

لم يكن يتحدث عن حرب ولا عن قرارات مصيرية ولا عن خزائن الدولة

بل عن دابه ,حيوان يسير في طريق بعيد

ومع ذلك ...كان يخشى أن يُسأل عنها

لأن القلوب التي عرفت الله حقًا ...لا ترى الذنوب صغيرة

أما نحن، فقد اعتدنا أشياء كثيرة حتى فقدنا الإحساس بها

أصبح الإنسان يجرح غيره بكلمة ...ثم يكمل يومه طبيعيًا

يكسر قلبًا ...ثم ينام مرتاحًا

ويظلم ...ثم يبرر لنفسه

كأن القلوب لم تعد تشعر بثقل ما تفعل

وهذه من أخطر علامات الغفلة

أن يتحول الذنب إلى أمر عادي

فالذنوب لا تقتل القلب فجأة

بل بالتدريج

شيئًا بعد شيء

حتى يأتي يوم يصبح فيه الإنسان قادرًا على الأذى ...دون أن يرتجف داخله شيء

وكان عمر يخاف من هذه اللحظة ,يخاف أن يقسو قلبه أن يعتاد السلطة

أن يصبح الظلم أمرًا يمكن تبريره ,ولهذا كان يحاسب نفسه باستمرار

وكان يقول

«حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا»

يا لها من وصية عظيمة

فالإنسان الذي لا يجلس مع نفسه أحيانًا ...يضيع

الضجيج يسرقه .والدنيا تسحبه .والأيام تمرّ سريعًا حتى ينسى لماذا خُلق أصلًا

لكن لحظات الصدق مع النفس ...تعيد الروح إلى مكانها الصحيح

حين يجلس الإنسان وحده، بعيدًا عن الناس، ثم يسأل قلبه بصراحة

كم ظلمت؟

كم أخطأت؟

كم مرة كنت قاسيًا دون سبب؟

كم إنسانًا احتاج كلمة طيبة مني ...ولم يجدها؟

هذه الأسئلة تؤلم

لكن الألم أحيانًا رحمة

لأن القلب الذي ما زال يتألم من ذنوبه ...قلب لم يمت بعد

أما القلوب القاسية، فأخطر ما فيها أنها لا تشعر

ولذلك كان الصالحون يخافون من أنفسهم أكثر مما يخافون من الناس

كانوا يعلمون أن الإنسان قد يهزم العالم كله ...ثم يهزمه قلبه من الداخل

وكان عمر واحدًا من هؤلاء

رجل عاش قويًا بين البشر لكنه كان يقف أمام الله بقلبٍ يرتجف

ولهذا بقيت كلماته حيّة

لأن الكلمات التي تخرج من قلبٍ صادق لا تموت

## الفصل الثالث

ليل المدينة

كان الليل بالنسبة لكثيرٍ من الناس
وقتًا للنوم

لكن بعض الأرواح لا تهدأ حين ينام العالم

وكان عمر بن الخطاب واحدًا من هؤلاء

فكلما سكنت الأصوات، واختفت ضوضاء النهار، شعر أن مسؤوليته تبدأ من جديد
كان يخرج وحده ,دون موكب ,دون حرّاس

دون تلك المسافات التي يصنعها الحكام بينهم وبين الناس

يسير في طرقات المدينة كأنما يبحث عن شيءٍ ضائع

وربما كان يبحث فعلًا ...عن قلبه

فالإنسان إذا كثرت حوله السلطة
يحتاج أحيانًا أن يهرب منها كي يبقى إنسانًا

وكان عمر يخاف أن تعزله الخلافة عن الحقيقة

أن تصل إليه الأخبار مرتبةً وناعمة بينما
الوجع الحقيقي يختبئ في الأزقة البعيدة

ولهذا كان يخرج بنفسه

يرى ويسمع ويقترب من الحياة كما هي

وفي إحدى الليالي
كان البرد شديدًا

والمدينة ساكنة إلا من أصوات متفرقة تأتي من البيوت

ثم سمع بكاء طفل

بكاءً طويلًا متقطعًا
يشبه الجوع أكثر مما يشبه الحزن

اقترب من البيت

وقف قليلًا ثم عاد بعد وقت، وما زال الصوت نفسه يخرج من الداخل
طرق الباب بهدوء

خرجت امرأة تحمل على وجهها تعب الأيام

سألها عمر

ما بال الصغير يبكي؟

قالت :الجوع

ثم نظر إلى الطفل فسألها

ولماذا لا ترضعينه؟

فأجابته بكلمات لم تكن تعلم أنها ستغيّر قلب خليفة

لأن عمر لا يفرض العطاء إلا للأطفال المفطومين ...وأنا أحاول فطامه مبكرًا

ساد الصمت لحظة

ذلك الصمت الذي يولد حين يصطدم الإنسان بحقيقةٍ لم يكن يراها

شعر عمر أن الكلمات دخلت قلبه كالسهم

قرارٌ صغير صدر من قصر الحكم

وكان ثمنه دموع طفل

كم من الأشياء التي نظنها بسيطة
تؤذي أرواحًا كاملة؟

وكم مرة تسببت كلمة، أو قسوة، أو إهمال، في وجعٍ لم نره؟
عاد عمر تلك الليلة وقلبه مثقل

لم ينم مرتاحًا

وفي الصباح، غيّر القرار فورًا

وأمر بالعطاء لكل طفل منذ ولادته

لم يحاول أن يبرر

لم يقل إن نيته كانت جيدة

لم يغضب لأن امرأةً انتقدته

بل رجع إلى الحق فورًا

لأن القلوب الصادقة لا ترى الاعتراف بالخطأ هزيمة

بل نجاة

أما النفوس المتكبرة
فتحب الخطأ الذي يحفظ صورتها أكثر من الحقيقة التي تكسرها

وكان عمر يخاف من الكِبر أكثر مما يخاف من أعدائه

لأن الإنسان قد ينجو من الناس جميعًا
ثم يهلك بسبب نفسه

وفي الليل
حين يعود الإنسان إلى وحدته، تسقط كل الألقاب
لا يبقى أمير ولا فقير ولا مشهور

يبقى القلب فقط

ولهذا كانت الليالي مرعبة للصالحين

لأنهم كانوا يرون أنفسهم بوضوح

وكانوا يعلمون أن أخطر أنواع الخسارة
أن يعيش الإنسان طويلًا بعيدًا عن الله دون أن يشعر

ولهذا كان عمر يكثر من محاسبة نفسه

لا لأنه كان سيئًا

بل لأنه كان يعرف أن النفس البشرية قابلة للغفلة دائمًا

وكان يريد أن يبقى قلبه حيًا حتى آخر لحظة

فالقلوب لا تموت دفعةً واحدة

بل تموت بصمت ذنب بعد ذنب وقسوة بعد قسوة

حتى يصبح الإنسان غريبًا عن نفسه

ولهذا ...كانت خلوات الليل رحمة

لأنها تعيد الإنسان إلى حقيقته

# الفصل الرابع

دموع الفاروق

بعض الرجال يبكون لأنهم ضعفاء

وبعضهم يبكون لأن قلوبهم امتلأت بما هو أكبر من الاحتمال

وكان عمر بن الخطاب من الصنف الثاني

الرجل الذي كانت ترتجف من هيبته الجيوش
كان أحيانًا يبكي من آية

تمرّ الكلمات القرآنية على قلبه
فتفتح داخله أبوابًا لا يراها الناس

كان يسمع حديث الجنة ...فيشتاق

ويسمع وصف النار ...فيرتجف

كأن الآخرة أمامه مباشرة

وهذه هي المسافة الحقيقية بيننا وبينهم

نحن نؤمن بالآخرة غالبًا بعقولنا

أما هم فكانوا يعيشونها بقلوبهم
ولذلك كانت الدنيا أصغر في أعينهم

في إحدى الليالي
كان عمر يقرأ القرآن حتى مرّ بقوله تعالى

(إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ)

فتوقف طويلًا وأعاد الآية مرةً أخرى

ثم قال بصوتٍ مرتجف ,قسمٌ ورب الكعبة

وبكى

بكى لأنه شعر بثقل الحقيقة

أن هناك يومًا قادمًا لا مهرب منه

يومًا يسقط فيه كل شيءٍ كنا نظنه مهمًا

كل هذا الركض كل هذا التنافس

كل هذه الضوضاء التي ملأت حياتنا

ستنتهي فجأة ويبقى الإنسان وحده مع عمله

ولهذا كانت قلوب الصالحين حساسة

تتألم بسرعة وتخاف بسرعة ليس ضعفًا

بل لأن نور الإيمان يجعل القلب حيًا

أما القلوب القاسية، فلا تشعر إلا بعد فوات الأوان

كان عمر يخاف من ذنوبه رغم صلاحه

بينما بعض الناس اليوم يأمنون رغم غفلتهم

وكلما اقترب الإنسان من الله أكثر ازداد تواضعه وخوفه
لأنه يرى عظمة الله بوضوح أكبر أما البعيد

فغالبًا يستهين بنفسه وذنوبه لأنه لا يرى الحقيقة كاملة

وكان عمر يقول

«لو نادى منادٍ من السماء أن الناس جميعًا في الجنة إلا رجلًا واحدًا، لخشيت أن أكون أنا»

... يا الله

أي قلبٍ هذا؟ رجل شهد له النبي ﷺ بالفضل، ومع ذلك يخاف

أما نحن، فربما نعصي الله ثم نطمئن بسهولة ...كأن الموت موعد بعيد
مع أن المقابر مليئة بأشخاص كانوا يظنون أن لديهم وقتًا أطول

وكان أكثر ما يخيف الصالحين قسوة القلب لأن القلب إذا قسا
لم يعد يتأثر ...لا بآية ولا بموعظة ولا بدمعة أم ولا بوجع مظلوم وهذه من أعظم العقوبات

أن يعيش الإنسان بروحٍ لا تشعر ولهذا كانت دموع عمر نعمة دليلًا على أن قلبه ما زال حيًا

فالدموع التي تخرج خوفًا من الله لا تُشبه أي دموع أخرى إنها تغسل الروح من الداخل

وتعيد للإنسان إنسانيته التي أتعبتها الدنيا ولهذا .....لا تخجل أبدًا من قلبٍ يلين

فالقلب الذي يبكي من خشية الله ............قلب ما زالت فيه حياة

## الباب الثاني

رجال نجوا بالخوف

## الفصل الخامس

نوح ...ألف سنة من الطرق على القلوب

ليس كل تعبٍ يرى الإنسان نتيجته سريعًا

بعض الرسائل تحتاج عمرًا كاملًا

وبعض القلوب لا تفتح أبوابها بسهولة

وكان نوح عليه السلام يعرف ذلك جيدًا

تسعمئة وخمسون عامًا

وهو يدعو تخيل هذا الرقم

أعمارٌ كاملة تمرّ، وأجيال تولد ثم تموت
ونبي الله ما زال يقف على الباب نفسه

يدعو الناس إلى الله ليلًا ونهارًا

سرًا وجهارًا بصبرٍ يشبه البحر في اتساعه

لكن البشر غالبًا يملّون بسرعة

نحن أبناء اللحظة القصيرة

نريد كل شيء الآن

دعاءً سريع الإجابة

وتوبةً بلا مجاهدة

وطريقًا مستقيمًا بلا تعب

لكن نوحًا كان يتعلّم كل يوم معنى الثبات

كان يرى الوجوه نفسها تسخر منه

والقلوب نفسها تبتعد

ومع ذلك ...لم يتوقف

لأن الأنبياء لم يكونوا يعملون لأجل التصفيق

بل لأجل الله

وهذه من أعظم الحقائق التي يضيعها الناس اليوم

حين يصبح رضا البشر هو الغاية
يتعب الإنسان بسرعة

أما الذي يعمل لله
فإنه يصبر حتى لو سار وحده

وكان الألم في حياة نوح عميقًا

ليس لأن الغرباء كذبوه فقط

بل لأن أقرب الناس إليه لم يؤمنوا

حتى ابنه

يا له من وجع

أن يرى الإنسان شخصًا يحبه يغرق أمام عينيه
ولا يستطيع إنقاذ قلبه

لكن الله أراد أن يتعلم البشر درسًا قاسيًا

أن الهداية ليست ملك أحد

لا نبي ولا أب ولا أم

القلوب بين يدي الله وحده

وأحيانًا يتعب الإنسان سنواتٍ لأجل شخصٍ يحبه
ثم يكتشف أن القلوب ليست بيده

وهنا تبدأ مرحلة صعبة من النضج الروحي

أن يفهم الإنسان الفرق بين السعي ...والسيطرة

أنت تسعى تنصح تحب تدعو

لكن الهداية نور يضعه الله حيث يشاء

وحين جاء الطوفان
كان العالم كله يغرق

السماء مفتوحة بالمطر

والأرض تنفجر بالماء

والناس يركضون في رعبٍ متأخر

أما السفينة الصغيرة التي سخروا منها طويلًا

فكانت النجاة

وهكذا يفعل الله دائمًا

قد يجعل النجاة تبدو غريبة في أعين الناس

وقد يسخر العالم كله من طريقٍ
ثم يكتشف متأخرًا أنه الطريق الوحيد الذي كان ينقذ الأرواح

ولذلك، لا تستوحش طريق الحق إذا قلّ السائرون فيه

فنوح عاش عمرًا كاملًا تقريبًا وهو يُقاوم وحده

لكن الله لم ينسه

والله لا ينسى أبدًا القلوب التي صبرت لأجله

## الفصل السادس

إبراهيم ...حين أصبحت النار باردة

هناك لحظات في الحياة
يشعر فيها الإنسان أن العالم كله يقف ضده

كل الوجوه مغلقة

وكل الطرق تؤدي إلى الأذى

وكان إبراهيم عليه السلام يعرف هذا الشعور جيدًا

،منذ صغره
كان يرى قومه ينحنون للحجارة

أصنام صامتة، لا تسمع دعاءً، ولا تمنع موتًا، ولا تشفي قلبًا
وكان داخله سؤال كبير

كيف يمكن للروح التي خُلقت لتعرف الله
أن تسجد لما صنعته أيدي البشر؟

لكن الحقيقة دائمًا تُقلق الغافلين

ولهذا لم يحتمل قومه كلماته طويلًا

بدأ الأمر بالسخرية ثم بالغضب ثم تحول إلى نار ليس نارًا صغيرة

بل نارًا أرادوا لها أن تكون رسالة خوف لكل من يفكر مثل إبراهيم

اجتمع الناس وتصاعد اللهب عاليًا حتى صار الاقتراب مستحيلًا

وكان المشهد مرعبًا

أمة كاملة ...أمام رجلٍ واحد

لكن الشيء الذي حيّرهم، أن إبراهيم لم ينكسر
كان قلبه ممتلئًا بشيءٍ أكبر من النار

اليقين

ذلك النور العجيب الذي يجعل الروح ثابتة حتى حين ترتجف الدنيا كلها

وحين أُلقِي في النار
لم يكن معه جيش ولا سلاح ولا طريق نجاة ظاهر

فقط الله

وأحيانًا، حين يأخذ الله من الإنسان كل أسباب القوة
فذلك ليعلّمه أين تكمن القوة الحقيقية

قال إبراهيم

«حسبي الله ونعم الوكيل»

كلمة خرجت من قلبٍ عرف الله حقًا

ولذلك حدثت المعجزة

تحولت النار إلى بردٍ وسلام

النار نفسها تغيّرت

لأن الكون كله بيد الله

حتى الأشياء التي نظنها ثابتة

وهكذا يتعلم المؤمن درسًا عظيمًا

ليس المطلوب أن تفهم دائمًا كيف ستنجو

بل أن تثق بالله حتى وأنت لا ترى الطريق

فكم من نارٍ ظن الإنسان أنها نهايته
ثم كانت بداية النجاة؟

هناك من يحترق بالخوف ومن يحترق بالوحدة ومن يحترق بكلام الناس

لكن القلوب القريبة من الله
تعرف كيف تعبر النار دون أن تموت من الداخل.

## الفصل السابع

يوسف ...السجن الذي أعاد تشكيل الروح

ليست كل الأبواب المغلقة عقوبة

أحيانًا
يُغلق الله الدنيا في وجه الإنسان
حتى يفتح داخله شيئًا أعمق

وكان يوسف عليه السلام يسير في طريقٍ مليء بالأبواب المغلقة

بدأت الحكاية بحلم

طفل صغير يرى نورًا مختلفًا
ولا يعرف أن الطريق إلى ذلك النور سيمرّ بكل هذا الألم

أُخذ من حضن أبيه ثم أُلقي في البئر

وللبئر وحشة لا يفهمها إلا من سقط يومًا في ظلام الحياة فجأة

في لحظة واحدة
يتحوّل العالم من الأمان إلى الخوف

ومن الدفء إلى الوحدة

ثم بيع يوسف كأنه شيء لا روح لا قلب

مجرد عبدٍ ينتقل من يدٍ إلى يد

لكن الله كان يخبئ له قدرًا آخر

فالأقدار التي تبدو قاسية أحيانًا
تكون جزءًا من الرحمة التي لا نفهمها إلا متأخرين

كبر يوسف وكان جميلًا بطريقةٍ أربكت القلوب

لكن أجمل ما فيه لم يكن وجهه فقط
بل نقاء روحه

وحين أُغلقت الأبواب، ودعته امرأة العزيز إلى الفتنة
وقف يوسف أمام أصعب معركة قد يخوضها الإنسان

المعركة التي لا يراه فيها أحد

هناك، حين تختفي أعين البشر، تظهر حقيقة القلب
بعض الناس يتركون الحرام خوفًا من الفضيحة

أما يوسف، فتركه خوفًا من الله
قال :مَعَاذَ اللَّهِ

وكأن الكلمة خرجت من أعماق روحٍ تعرف جيدًا أن لحظة المعصية قد تغيّر قلب الإنسان إلى الأبد

وفي زمنٍ أصبحت فيه الفتنة سهلة
يبقى أعظم الانتصارات
أن يحفظ الإنسان قلبه لله حتى لو كان وحده

ثم دخل يوسف السجن ظلمًا

أُغلقت الأبواب الثقيلة خلفه
وساد ذلك الصمت البارد الذي يعرفه كل من ذاق الوحدة

كان يمكن ليوسف أن يتحول إلى إنسان غاضب

أن يمتلئ حقدًا أن يسأل لماذا أنا؟

لكنه فهم شيئًا عظيمًا

أن الأماكن الضيقة أحيانًا
تُربّي الأرواح الواسعة

في السجن، لم يفقد يوسف قلبه
بل اقترب من الله أكثر

وكان هذا سر نجاته الحقيقي

فكثير من الناس يعيشون خارج السجون
لكن أرواحهم سجينة سجينة القلق وسجينة الشهوة وسجينة الخوف من المستقبل

أما يوسف، فكان حرًا من الداخل
ولهذا، حين جاء وقت الخروج، خرج بروحٍ لم تكسرها السنوات
وعلّم البشرية درسًا لا ينسى

أن الله قد يؤخر الجميل
لكنه لا يضيعه أبدًا

## الفصل الثامن

موسى ...حين انشق البحر لليقين

الخوف ليس عيبًا

حتى الأنبياء خافوا لكن الفرق العظيم

أن خوفهم لم يكن أقوى من ثقتهم بالله

وكان موسى عليه السلام يعيش واحدة من أكثر اللحظات رعبًا في التاريخ

البحر أمامه وفرعون خلفه وجيشٌ كامل يقترب بسرعة

والناس حوله ينظرون إلى النهاية وكأنها أصبحت واضحة

قالوا في خوف :إِنَّا لَمُدْرَكُونَ

وهذا ما يشعر به الإنسان أحيانًا

حين تضيق الحياة فجأة ديون لا تنتهي مرض يسرق الطمأنينة

أيام ثقيلة لا يرى فيها الإنسان أي مخرج

فيظن أن كل الطرق أُغلقت لكن موسى كان يرى شيئًا آخر

كان يرى الله

ولذلك قال بثباتٍ هزم خوف الجميع كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ

....يا الله

كم تحتاج القلوب اليوم إلى هذا اليقين

أن يؤمن الإنسان أن الله قادر على فتح الطريق
حتى لو بدا البحر مغلقًا تمامًا

ثم حدثت المعجزة ضرب موسى البحر بعصاه ....فانشق الماء

وتحوّل المستحيل إلى طريق نجاة

وهكذا يفعل الله أحيانًا

يجعل الفرج يأتي من المكان الذي ظننته النهاية

لكن البشر يريدون دائمًا أن يروا الطريق كاملًا قبل أن يطمئنوا

بينما الإيمان الحقيقي
أن تمشي نحو الله حتى وأنت لا ترى إلا خطوة واحدة

وفي حياتنا بحار كثيرة

مشاكل نظن أنها لن تنتهي

وأحزان تبدو أكبر من الاحتمال

لكن البحر الذي انشق لموسى
يذكّرنا دائمًا أن قدرة الله لا يحدّها شيء

وأن اليأس ليس حقيقة

بل لحظة ضعفٍ ينسى فيها الإنسان من يدبّر الكون

## الفصل التاسع

يونس ...الدعاء الذي خرج من قلب الظلمات

هناك أنواع من الظلام لا تراها العيون

ظلام يسكن داخل الإنسان نفسه

حين تضيق الروح
ويشعر القلب أنه بعيد

بعيد عن الطمأنينة

بعيد عن نفسه

بعيد حتى عن القدرة على الشرح

وكان يونس عليه السلام يعرف شيئًا من هذا الألم

ترك قومه غاضبًا

ثم وجد نفسه وحيدًا في البحر

وفي لحظة خاطفة
ابتلعه الحوت .....وفجأة

أصبح داخل ظلمات متعددة ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الحوت

وكأن الدنيا كلها أُغلقت فوقه دفعةً واحدة

وفي مثل هذه اللحظات
يسقط كل شيء يتعلّق به الإنسان لا يبقى مال ولا قوة ولا بشر

يبقى الله فقط

وهناك ....في قلب العجز الكامل
خرج الدعاء الذي ظلّ حيًا في قلوب المؤمنين عبر القرون

لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

لم يكن دعاءً طويلًا

لكنه كان صادقًا

وفي أوقات كثيرة، لا يحتاج الإنسان كلمات كثيرة ليصل إلى الله
بل يحتاج قلبًا منكسرًا بصدق

اعترف يونس لم يهرب من خطئه لم يبرر لم يُلقِ اللوم على أحد

وهذه من أصعب الأشياء على النفس البشرية

فالإنسان يحب دائمًا أن يبدو بريئًا

لكن الأرواح النقية تعرف أن الاعتراف بداية النجاة

كم شخص يعيش اليوم داخل ظلمات لا يراها الناس؟

يضحك أمام الجميع
لكن قلبه متعب

ينام متأخرًا لأن الأفكار لا ترحمه

ويحمل في صدره خوفًا لا يعرف كيف يشرحه

وفي لحظات كهذه
لا ينقذ الإنسان شيء مثل العودة إلى الله

لأن الله لا يملّ من عباده حتى بعد كل السقوط حتى بعد كل البعد

بابه يبقى مفتوحًا وهذه من أعظم الرحمة

أن الله لا يعاملنا كما نستحق دائمًا
بل كما يليق بكرمه

خرج يونس من بطن الحوت حيًا لكن الأهم أنه خرج بقلبٍ أكثر قربًا من الله

وأحيانًا
يأخذنا الله إلى أماكن مظلمة جدًا ...حتى نتعلّم كيف نراه وحده

## الباب الثالث

لأن القيامة حق

## الفصل العاشر

لماذا يظلم الناس؟

ليس الإنسان شريرًا دائمًا حين يظلم

أحيانًا يكون فقط ...بعيدًا

بعيدًا عن الله إلى درجة أن قلبه يفقد القدرة على الشعور

فالروح حين تبتعد طويلًا عن نور الله
يبدأ شيءٌ ما بالانطفاء داخلها

شيء يجعل الإنسان يرى نفسه أكبر من الحقيقة

وأحقّ من الآخرين وأهمّ من وجعهم

ولهذا يبدأ الظلم صغيرًا غالبًا

كلمة قاسية نظرة احتقار

إهمال لمشاعر أحد كذب بسيط

ثم يكبر شيئًا فشيئًا
حتى يصبح القلب قادرًا على الأذى دون أن يرتجف

وهذه أخطر مرحلة يصل إليها الإنسان

أن يؤذي ...دون أن يشعر

فالذين يخافون الله حقًا
يتعبهم مجرد احتمال أنهم ظلموا أحدًا

أما القلوب الغافلة ...فتبحث دائمًا عن مبررات
كل ظالم تقريبًا يرى نفسه محقًا وهذا ما يجعل الظلم مرعبًا

أن الإنسان قد يتحول إلى خصم للحق ...وهو يظن أنه يدافع عنه

فرعون لم يكن يرى نفسه طاغية

بل كان يرى نفسه صاحب حق

وإخوة يوسف لم يشعروا أنهم يصنعون جريمة ستبقى حية في التاريخ

فالقلب حين يغطيه الحسد أو الكبر أو حب النفس
يفقد وضوحه

ولذلك كان أكثر ما يخافه الصالحون
ليس الفقر ولا المرض بل فساد القلب

لأن القلب إذا فسد أصبح الإنسان قادرًا على كل شيء
على الكذب دون خوف

والخيانة دون ألم والقسوة دون ندم

وفي هذا الزمن أصبح الظلم أكثر هدوءًا لم يعد دائمًا بالسيف
بل بالكلمات بالخذلان بالإهمال

بالسخرية التي يضحك الناس عليها بينما تبقى في قلب أحدهم سنوات

هناك أرواح كاملة تتغيّر بسبب كلمة

وبشر يفقدون ثقتهم بأنفسهم بسبب قسوة عابرة من شخص لم يفكر أصلًا فيما قاله

لكن الله يرى كل شيء

... كل شيء

حتى الأشياء التي يظن الناس أنها صغيرة

ولهذا كانت القيامة رحمة لأنها تعني أن الألم لن يضيع

وأن المظلوم لن يُنسى

وأن القلوب المكسورة لها رب يسمع صوتها حتى لو سكت العالم كله

ولولا يوم القيامة لاستراح الظالم كثيرًا
لكن الحقيقة التي يخاف منها كل قلب بعيد عن الله
أن هناك لقاء أخيرًا

لقاء لا يستطيع فيه أحد أن يهرب من نفسه ولا من الحقيقة

## الفصل الحادي عشر

القلوب التي ماتت واقفة

ليست كل القلوب التي تنبض ...حيّة

فهناك قلوب تمشي بين الناس
وتضحك وتعمل وتتحدث كثيرًا
لكنها من الداخل ...فارغة

لا تتأثر بآية

ولا يوجعها ذنب

ولا ترتجف من فكرة الموت

وكأن شيئًا فيها مات بصمت

وقسوة القلب لا تأتي فجأة

بل تبدأ تدريجيًا

مع كل ذنب لا يتبعه ندم

ومع كل مرة يؤجل فيها الإنسان توبته

ومع كل لحظة يختار فيها الدنيا على حساب روحه

حتى يصل إلى مرحلة مخيفة

أن يسمع كلام الله ...فلا يتحرك داخله شيء

وكان الصالحون يخافون من هذه المرحلة أكثر من خوفهم من المصائب

لأن المصيبة قد توقظ الإنسان

أما قسوة القلب
فقد تجعله يبتعد عن الله دون أن يشعر أصلًا

وفي هذا العصر
ازدحم العالم بكل شيء ...إلا السكينة

الناس تركض طوال الوقت

لكن قليلًا منهم يعرف إلى أين

ضجيج لا ينتهي

وشاشات تسرق الأرواح ببطء

وأيام تمرّ بسرعة حتى أصبح الإنسان ينسى نفسه

ولهذا يشعر كثيرون بفراغٍ غريب

رغم أن كل شيء يبدو موجودًا

لأن الروح لا يكفيها النجاح وحده ولا المال ولا العلاقات

الروح خُلقت لشيء أكبر خُلقت لتعرف الله

وحين تُحرم من ذلك تبدأ بالذبول
حتى لو ضحك صاحبها طوال الوقت

كم من إنسان يبتسم أمام الناس
ثم يعود إلى سريره مثقلًا بطريقة لا يفهمها

وكم من شخص يملك كل شيء
لكنه يشعر أن داخله خراب لا يراه أحد

لأن القلوب لا تحيا إلا بالقرب من الله

ولهذا كان القرآن مختلفًا لم يكن مجرد كلمات تُقرأ ...بل حياة

وكان إذا دخل قلبًا حيًا ...أيقظه

أما القلوب التي غرقت طويلًا في الغفلة
فتحتاج أن تتألم أولًا حتى تستيقظ

وأحيانًا تكون الرحمة في الانكسار

في خسارة تهز الإنسان أو دمعة تعيده إلى نفسه

أو لحظة يشعر فيها فجأة أن الدنيا كلها لا تستطيع أن تملأ الفراغ الذي داخله

هناك يبدأ الطريق الحقيقي

حين يفهم الإنسان أن مشكلته لم تكن في الدنيا كلها

بل في المسافة بينه وبين الله

## الفصل الثاني عشر

يوم ينكشف كل شيء

سيأتي يوم
تسقط فيه كل الأقنعة

يوم لا يستطيع أحد أن يمثل فيه الطيبة

ولا الشجاعة ولا البراءة

كل شيء سيكون واضحًا كما هو

القلوب والنيات

والأسرار التي ظن البشر أنها ماتت معهم

ذلك اليوم الذي كان الأنبياء يخافونه رغم قربهم من الله

يوم القيامة حين تتغير السماء وترتجف الأرض

ويهيم البشر في خوفٍ لم تعرفه الدنيا من قبل

هناك
لن يسأل الإنسان عن عدد الذين أعجبوا به

ولا عن صورته أمام الناس

بل عن قلبه عن عمره أين ذهب

وعن الأرواح التي مرّت به

هل كان رحمة لها ...أم وجعًا إضافيًا؟

في ذلك اليوم
سيكتشف البشر كم كانت الدنيا قصيرة

كل الأشياء التي تنافسوا عليها

وتخاصموا وحسد بعضهم بعضًا لأجلها

ستبدو فجأة صغيرة بطريقة مؤلمة

وكأن الحياة كلها كانت لحظة عابرة

وسيحمل الإنسان أعماله وحده لا أب ولا صديق

ولا أحد يستطيع أن يأخذ عنه شيئًا

حتى الكلمات التي نسيها سيجدها مكتوبة
وحتى الدموع التي تسبب بها
سيعرف حقيقتها كاملة

ولهذا كان الصالحون يخافون من التفاصيل الصغيرة

لأنهم كانوا يرون الآخرة بقلوبهم

أما أكثر الناس
فيعيشون وكأن الموت فكرة بعيدة تخص الآخرين فقط

مع أن المقابر ممتلئة بأشخاص كانوا يظنون أن لديهم وقتًا أطول

لكن الحقيقة دائمًا قريبة

أقرب مما نظن

ولهذا كانت التوبة نعمة عظيمة

لأن الله فتح باب العودة قبل الوصول إلى ذلك اليوم

فما دام القلب ينبض
فالطريق ما زال مفتوحًا

وما دام الإنسان يشعر بالندم
فهذا يعني أن الله لم يتركه بعد

لكن المشكلة أن كثيرًا من البشر يؤجلون

كأنهم ضمنوا العمر

مع أن الموت لا يرسل رسالة قبل الوصول

يأتي فجأة ويأخذ الإنسان كما هو

ولهذا ....أخطر خسارة ليست أن يموت الإنسان
بل أن يموت بعيدًا عن الله

## الفصل الثالث عشر

الذين بكوا وحدهم

ليست كل الدموع متشابهة

هناك دموع تنزل لأن الحياة أتعبت الإنسان

ودموع خوف ودموع خسارة ...لكن أجمل الدموع عند الله

هي تلك التي تنزل حين يكون العبد وحده

لا أحد يراه ولا أحد يسمعه

فقط قلبٌ انكسر بين يدي الله

وكان الصالحون يعرفون قيمة هذه اللحظات

لأنهم فهموا أن العلاقة الحقيقية مع الله
لا تُبنى أمام الناس بل في الخفاء

في تلك الساعات التي ينام فيها العالم
ويبقى الإنسان وحده مع روحه

هناك تسقط الأقنعة

فلا يعود الإنسان بحاجة أن يبدو قويًا ولا صالحًا ولا ثابتًا

هناك يظهر ضعفه الحقيقي وخوفه الحقيقي

وذنوبه التي حاول الهروب منها طويلًا

وما أعجب رحمة الله

كلما صدق الإنسان في انكساره
اقترب منه الله أكثر

ولهذا كان بعض الصالحين يبكون من آية واحدة طوال الليل

ليس لأنهم أكثر الناس ذنوبًا

بل لأن قلوبهم كانت حيّة

أما القلوب القاسية
فتمرّ عليها المواعظ كما يمرّ الهواء على الحجر

وفي هذا العصر أصبح البشر يهربون من الصمت
لأن الصمت يكشفهم

كلما شعر الإنسان بثقل نفسه فتح هاتفه
أو بحث عن أي ضجيج ينسيه ما بداخله

لكن الأرواح لا تُشفى بالهروب بل بالمواجهة

أن يجلس الإنسان مع نفسه أخيرًا

ويقول بصدق ,يا رب ...تعبت يا رب ...أخطأت يا رب ...لا أريد أن أبتعد أكثر

وهنا تبدأ الطمأنينة الحقيقية

ليس حين تختفي المشاكل

بل حين يشعر القلب أن الله ما زال يسمعه

كم من إنسان عاد إلى الله بدمعة؟

وكم من روح أنقذها سجود طويل في آخر الليل؟

الأشياء العظيمة لا تحدث دائمًا أمام الناس

بعض أعظم التحولات تبدأ في غرفة مظلمة
وقلبٍ يبكي بصمت

ولهذا
لا تحتقر لحظة صدق مع الله

فرب دمعة لا يراها أحد
تغيّر مصير إنسان كامل

## الفصل الرابع عشر

لا أحد يراك ...إلا الله

من السهل أن يكون الإنسان صالحًا حين يراقبه الناس

لكن الحقيقة تظهر دائمًا في الخفاء

حين تُغلق الأبواب ويختفي الجميع

ولا يبقى إلا الإنسان ...ونفسه

هناك يعرف كل شخص حقيقته

هل يمنعه عن الحرام خوف الناس؟

أم خوف الله؟

وهذا هو الفرق العظيم بين الإيمان الحقيقي ...وصورة الإيمان

فبعض البشر يتقنون التمثيل طويلًا

يظهرون الطيبة والالتزام والهدوء لكن قلوبهم بعيدة

لأن العلاقة مع الله لم تدخل العمق الحقيقي بعد

وكان الصالحون يهتمون بما بينهم وبين الله أكثر من اهتمامهم بما يقوله الناس عنهم

لأنهم فهموا شيئًا مهمًا

أن البشر لا يملكون جنة ولا نارًا

وأن الله وحده يعرف الحقيقة الكاملة

ولذلك كانت أعمال الخفاء أحبّ الأشياء إلى قلوبهم

صدقة لا يعلم بها أحد

دعاء في الليل

دمعة بعيدة عن العيون

لأن الإخلاص ينمو بعيدًا عن التصفيق

أما النفس البشرية
فتحب أن تُرى تحب المدح وتحب أن تشعر أنها مهمة

ولهذا كان الرياء خطيرًا جدًا

لأنه يجعل الإنسان ينشغل بصورته أمام الناس ...وينسى صورته عند الله

وفي هذا الزمن أصبح كل شيء قابلًا للعرض
حتى الخير حتى العبادة أحيانًا حتى الحزن

وكأن الإنسان لم يعد يعرف كيف يعيش شيئًا بينه وبين الله فقط

لكن الأرواح الصادقة تحتاج خلوة

تحتاج أماكن لا يصل إليها أحد

حتى تبقى العلاقة نقية

ولذلك
قد يفعل إنسان عملًا صغيرًا لا يراه البشر أبدًا ...فيغيّر الله به حياته كلها

وقد يعيش آخر بين المظاهر والضجيج وقلبه فارغ تمامًا
لأن الله لا ينظر إلى الصور بل إلى القلوب

والقلوب الصادقة لها نور مختلف نور هادئ

لا يحتاج أن يصرخ كي يشعر الناس بوجوده

يكفي أن يكون قريبًا من الله

## الفصل الخامس عشر

التعب الذي لن يضيع

هناك تعب يراه الناس وتعب لا يراه أحد

امرأة تقاوم الحياة كل يوم بصمت

رجل يحمل همومًا أثقل من قدرته لكنه يحاول أن يبقى ثابتًا

أم تخاف على أولادها أكثر مما تخاف على نفسها

وشخص يقاوم حزنه وحده كي لا يثقل على أحد

.... والله يرى كل ذلك

كله

حتى الأشياء التي لم يفهمها البشر

وحتى الدموع التي خبأها الإنسان عن العالم كله

ولهذا كانت الآخرة رحمة عظيمة

لأنها تعني أن شيئًا لن يضيع

ولا وجع ولا صبر

ولا دعوة خرجت من قلبٍ مكسور في آخر الليل

في الدنيا أحيانًا
لا يأخذ الإنسان حقه قد يُظلَم وقد يُنسى

وقد يتعب طويلًا دون أن يسمع كلمة تقدير واحدة

لكن الله لا ينسى

وهذه الفكرة وحدها ...كانت تمنح الصالحين قدرة عجيبة على الاحتمال
كانوا يعلمون أن الحياة ليست النهاية

وأن هناك يومًا سيرون فيه الحكمة كاملة

كم من إنسان ظن أن صبره ضاع
ثم اكتشف بعد سنوات أن الله كان يهيئ له شيئًا أجمل مما تخيل

وكم من ألم أنقذ صاحبه من طريقٍ كان سيهلكه

لكن البشر لا يفهمون الأقدار بسرعة

لأننا نرى اللحظة فقط

أما الله ...فيرى الطريق كله
ولهذا
أحيانًا يكون المنع رحمة والتأخير رحمة

والانكسار نفسه بابًا للنور

فالقلوب المتعبة ليست بعيدة عن الله كما تظن

بل ربما كانت أقرب مما تتخيل

لأن الله يحب القلوب التي تعود إليه وهي مكسورة لا متكبرة ولا غافلة

ولهذا
إذا أتعبتك الحياة يومًا لا تظن أن الله نسيك
فبعض الأرواح لا يطهّرها إلا الألم

وبعض القلوب لا تعود إلى الله .....إلا بعد أن تتعب من كل شيء سواه

## الفصل السادس عشر

قبل أن يُغلق الباب

أخطر ما يفعله الإنسان بنفسه
أن يظن أن لديه وقتًا طويلًا

وقت للتوبة ووقت ليعود إلى الله ووقت ليُصلح قلبه لاحقًا

لكن الحياة ليست مضمونة كما نتخيّل

الموت لا يأتي دائمًا بعد الشيخوخة ولا يختار موعدًا مناسبًا

يأتي فجأة

في منتصف الأحلام وفي منتصف الخطط

وأحيانًا بينما يظن الإنسان أن العمر ما زال ممتدًا أمامه

ولهذا كان الصالحون يخافون من التسويف أكثر من خوفهم من الذنب نفسه

لأن الذنب قد يتبعه ندم

أما التسويف فيخدّر القلب ببطء يجعل الإنسان يؤجل حتى يعتاد البعد

ويؤجل حتى تصبح الغفلة حياة كاملة

وكم من شخص كان ينوي التوبة يومًا ثم سبقه الموت

الحقيقة التي يهرب منها البشر دائمًا أن أعمارنا هشة جدًا
نحن نعيش بأجساد تبدو قوية

لكن أرواحنا معلقة بأمرٍ واحد من الله

ولهذا كان النبي ﷺ يكثر من تذكير الناس بالموت
ليس ليخيفهم من الحياة

بل لينقذهم من الغفلة

فالإنسان حين يتذكر النهاية ...تتغيّر أشياء كثيرة داخله
تصغر الخصومات ويهدأ الجشع ويصبح القلب أكثر رحمة

لأنه يدرك أن الجميع راحلون وفي هذا العالم

يركض الناس وكأنهم خالدون

يتعبون أرواحهم لأجل أشياء ستبقى هنا بعد رحيلهم

بينما الشيء الوحيد الذي سيذهب معهم
هو ما كان بينهم وبين الله

الصلاة التي حافظوا عليها رغم التعب

والدموع التي أخفوها عن الناس

والخير الذي فعلوه بصمت

أما كل شيء آخر
فسيتحول يومًا إلى ذكرى

ولهذا كانت التوبة أجمل هدية منحها الله للبشر

لأن الله يعلم ضعفهم يعلم أنهم يخطئون ويتعثرون ويبتعدون أحيانًا

لكنه فتح الباب

بابًا واسعًا لا يُغلق إلا حين تنتهي الرحلة

وما دام الإنسان حيًا ....فالأمل موجود
حتى لو أثقلته الذنوب حتى لو قسا قلبه حتى لو شعر أنه بعيد جدًا

فالذي خلق الروح يعرف كيف يعيدها إليه
لكن المشكلة أن بعض الناس لا يعودون إلا متأخرين جدًا

بعد أن تستهلك الدنيا قلوبهم بالكامل

بعد أن يفقدوا القدرة على الشعور

بعد أن يصبح الرجوع أصعب من أي وقت مضى

ولهذا أجمل لحظة قد يعيشها الإنسان ليست حين ينجح
ولا حين يصبح غنيًا بل حين يعود إلى الله بصدق قبل أن يُغلق الباب

## الفصل السابع عشر

والله لولا يوم القيامة

...والله لولا يوم القيامة
لما فهم الإنسان معنى العدل الكامل

فهذه الدنيا لا تعطي كل شيء كما ينبغي

كم من مظلوم نام باكيًا دون أن يأخذ حقه

وكم من قلبٍ كُسر ولم يشعر به أحد

وكم من إنسان عاش طيبًا ...ثم رحل دون أن ينال ما يستحق من الرحمة

...ولو كانت الحياة تنتهي هنا فقط
لكان في ذلك وجع لا يحتمله القلب

لكن الله لم يخلق البشر عبثًا

ولم يترك الألم بلا معنى

هناك يوم قادم يوم تعود فيه كل الأشياء إلى ميزانها الحقيقي

حتى الدموع حتى الخواطر التي أخفاها الإنسان في صدره

حتى اللحظات التي شعر فيها أنه وحيد تمامًا

الله كان يراها كلها ولهذا كانت القيامة رحمة للمؤمنين

لأنها تعني أن الخير لا يضيع

وأن التعب لا يذهب هباءً

وأن الأرواح التي قاومت نفسها لأجل الله
ستجد ما كانت تصبر لأجله

في ذلك اليوم
لن تنفع الأقنعة ولا الأسماء ولا المكانة

كل إنسان سيقف وحده

كما جاء أول مرة بلا قوة ولا قدرة على الهروب

وهناك فقط ....سيرى البشر الحقيقة كاملة
سيرون كم كانت الدنيا قصيرة

وكم أضاعوا من أعمارهم في أشياء لا تستحق

كم خسروا من أرواحهم وهم يركضون خلف ما يفنى

وسيكتشف كثيرون متأخرين ...أن الطمأنينة لم تكن في المال
ولا الشهرة ولا الانتصار على الناس

بل في القرب من الله ولهذا عاش الصالحون مختلفين

كانوا يضحكون أحيانًا ويفرحون ويعيشون الحياة

لكن قلوبهم لم تتعلق بها بالكامل

لأنهم كانوا يرون أبعد

يرون الآخرة

وكان ذلك كافيًا ليجعلهم أكثر رحمة

وأكثر خوفًا من الظلم

وأكثر حرصًا على نقاء قلوبهم

...فالقلب الذي يؤمن بالقيامة حقًا
لا يستطيع أن يؤذي بسهولة

ولا ينام مرتاحًا بعد ظلم

ولا يستهين بالذنوب

لأنه يعلم أن كل شيء محفوظ ....كل شيء

ولهذا
حين كان عمر بن الخطاب يسمع آية عن الآخرة ...كان يبكي

وحين كان الصالحون يختلون بالله ليلًا ...كانوا يرتجفون

ليس لأنهم يئسوا من رحمة الله

بل لأنهم عرفوا عظمته

وعرفوا أن الحياة أقصر من أن تُعاش بعيدًا عنه

وفي النهاية
لن يأخذ الإنسان معه شيئًا من الدنيا

لا بيته ولا ماله ولا اسمه سيأخذ قلبه فقط

فإما قلبًا أثقلته الدنيا حتى نسي الله

أو قلبًا عرف طريقه أخيرًا

ولهذا ....والله لولا يوم القيامة
لفسدت الأرض بمن عليها

لكن الله جعل للرحلة نهاية عادلة

وجعل بعد هذا التعب الطويل لقاءً لا يضيع عنده شيء أبدًا

الخاتمة

...وفي آخر الطريق

بعد كل هذا الركض الطويل في الدنيا
سيجلس الإنسان مع نفسه أخيرًا

دون ضجيج دون هواتف دون وجوه كثيرة تُلهيه عن الحقيقة

سيكتشف فجأة
أن العمر مرّ أسرع مما كان يظن

... وأن الأشياء التي أتعب قلبه لأجلها
لم تكن تستحق كل هذا التعب

سيحاول أن يتذكر الأيام

الوجوه التي أحبها

الأماكن التي ضحك فيها

الليالي التي بكى فيها وحده

ثم سيدرك شيئًا موجعًا جدًا

أن الحياة كلها كانت تمضي به نحو الله

كل شيء كان يقوده إلى تلك اللحظة الأخيرة

الألم والخذلان والحب والفقد والذنوب التي أوجعته والتوبة التي أعادته

كل الطرق كانت تنتهي هناك عند الله

ولهذا
لم يكن أعظم نجاح في الدنيا أن يملك الإنسان كل شيء

بل أن يصل إلى الله بقلبٍ سليم

قلب لم تقتله القسوة

ولم تُطفئه الدنيا

ولم ينسَ وهو يركض ...لماذا خُلق أصلًا

فالدنيا مهما اتسعت
تبقى ضيقة على روحٍ بعيدة عن الله

ومهما ضاقت الحياة
تبقى محتملة إذا كان الله قريبًا من القلب

ولهذا كان الصالحون مختلفين

كانوا يرون ما لا يراه الناس

يرون القبور خلف الضحكات

ويرون الآخرة خلف الأيام العادية

وكان ذلك كافيًا ليجعل قلوبهم أكثر رحمة وأقل تعلقًا بهذه الأرض

وفي ليلةٍ ما سيُطفأ آخر مصباح
ويهدأ آخر صوت وينتهي كل شيء ظنناه دائمًا

ثم يبدأ الشيء الحقيقي

اللقاء الذي عاش المؤمنون يشتاقون له ويخافونه في الوقت نفسه

هناك ....لن يسأل الله الإنسان كم كان مشهورًا ولا كم جمع ولا كم انتصر على الناس
بل سيسأله عن قلبه

هل عرفني؟

هل اشتاق إليّ؟

هل عاد إليّ حين أتعبته الدنيا؟

وهل خاف من ذلك اليوم ...حقًا؟

....فيا رب

إذا انتهت رحلتنا يومًا
وأصبحنا تحت التراب
وبقيت أعمالنا وحدها تتحدث عنا

فاجعل لنا من رحمتك نصيبًا واغفر لنا خوفنا وضعفنا وتقصيرنا

ولا تجعل الدنيا أكبر ما في قلوبنا واجعل آخر أعمارنا أجملها

وآخر كلامنا ...لا إله إلا الله لأنه

والله لولا يوم القيامة ما احتمل القلب كل هذا الطريق

# دعاء الختام

اللهم يا واسع الرحمة

إن كانت هذه الكلمات قد خرجت من قلبٍ يرجوك
فاجعلها نورًا لنا لا علينا

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن نحب
واجعل لنا من رحمتك نصيبًا
ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا

اللهم اختم أعمارنا بالقرب منك
واجعل آخر كلامنا من الدنيا

لا إله إلا الله محمد رسول الله أمين اللهم أمين وصل اللهم على سيدنا محمد الصادق الوعد الامين
وعلى اله الطيبين الطاهرين